يَوْمِيّات زَهْرَة

ضَبْطُ النَّفْس



تأليف أحمد مركان و ناريمان كاراتكين

رسم توران ديرتلي

ترجمة جنان حشّاش

دار أصالة ش.م.م. – طبعة أولى 2019
ISBN: 000–000–000–000–0
تلفون: 217 833 1 961+
ص.ب.: 11/3434
www.asalapublishers.com
infos@asalapublishers.com

المحتويات:

الكُتُبُ تُدْهِشُني



أنا «أعْشَقُ» والِدي.

لِأنَّ والِدي شَخْصٌ مُمَيَّزٌ.

ذاتَ يَوْمٍ، ضَبَطْتُ أبي بِالجُرْمِ المَشْهود.

لَمْ يَكُنِ الأمْرُ سَهْلًا، اضْطُرِرْتُ إلى تَعَقُّبِهِ سِرًّا لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ.

كُنْتُ دائِمًا أشْعُرُ بِالفُضولِ لِمَعْرِفَةِ كَيْفَ يَظْهَرُ أبي مَعَ كِتابٍ جَديدٍ حالَما أُنْهي قِراءَةَ كِتابٍ ما.
يَبْدو أَنَّهُ يُخَبِّئُ الكُتُبَ عَلى الرَّفِّ العُلْوِيِّ في المَكْتَبَة.
وعِنْدَما لا أنْظُر، يَتَناوَلُ واحِدًا ويُعْطيني إيّاه.

عِنْدَما ذَهَبَ أبي إلى العَمَل، نَظَرْتُ إلى الكُتُب. بَدَتْ مُغْرِيَةً جِدًّا كَأَنَّها تُناديني. أظُنُّ أنَّ واحِدًا مِنْ تِلْكَ الكُتُبِ كانَ «كَليلَة ودِمْنَة». وكانَ هُناكَ كِتابُ قِصَصٍ قَديمَةٍ. لا بُدَّ أنَّ هُناكَ كِتابَ أحْجياتٍ هُنا أيْضًا.

كُنْتُ أرى في أحْلامي كُتُبًا تَمُرُّ أمامي فاتِحَةً صَفَحاتِها.
وعِنْدَما أصِلُ إلى الجُزْءِ الأكْثَر إثارَةٍ تُغْلَقُ الصَّفْحَة.
فَأُحاوِلُ فَتْحَ الصَّفْحَة، ولَكِنَّني لا أتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِك.
كُنْتُ في كُلِّ مَرَّةٍ أسْتَيْقِظُ مُحْبَطَةً.



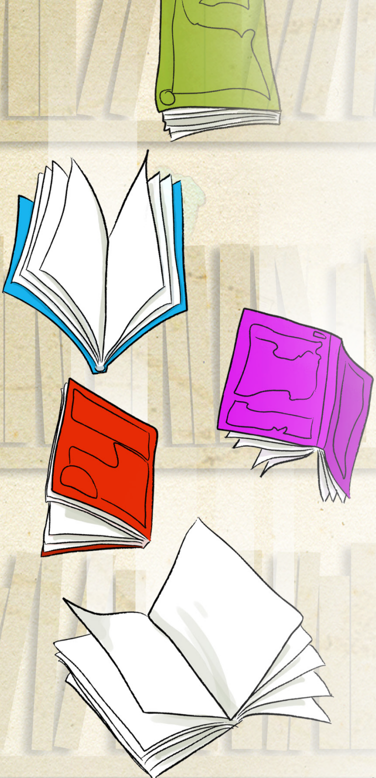
وَجَدْتُ حَلًّا. جَرَرْتُ كُرْسِيًّا ووَضَعْتُهُ أمامَ المَكْتَبَة.
وَضَعْتُ كُتُبًا عِدَّةً عَلى الكُرْسِيِّ وصَعِدْتُ فَوْقَها.
الآنَ يُمْكِنُني الوُصولُ إلى الكُتُب.
كُنْتُ أقْرَؤُها وأُعيدُها ثانِيَةً.

في كُلِّ مَرَّةٍ يَأْتيني أبي فيها بِكِتابٍ، أكونُ قَدْ قَرَأْتُهُ قَبْلًا، ويَقول: «زَهْرَة، حَبيبَتي، لَدَيَّ كِتابٌ جَديدٌ لَكِ»، لا يَسَعُني إلّا أنْ أضْحَك.

ذاتَ يَوْمٍ، فَشِلَتْ طَريقَتي لِلوُصولِ إلى الكُتُب.

كُنْتُ أشْعُرُ بِألَمٍ شَديدٍ. لَنْ تُصَدِّقوا ذَلِك،
ولَكِنَّني كُنْتُ أبْكي وأضْحَكُ في الوَقْتِ نَفْسِه.
كَالعادَة، كُنْتُ أُحاوِلُ الوُصولَ إلى الرَّفِّ العُلْوِيّ، فَانْزَلَقَ أحَدُ الكُتُبِ تَحْتي وزَلَّتْ قَدَمي. في وَقْتٍ كُنْتُ أضَعُ الكِتابَ عَلى الرَّفّ، وَجَدْتُ نَفْسي عَلى الأرْض.
شَعَرْتُ بِألَمٍ في كَتِفي. والكُتُبُ مُتَناثِرَةٌ في الغُرْفَة.
وهُناكَ صَفَحاتٌ مَفْتوحَةٌ كَما لَوْ أنَّها تَسْخَرُ مِنّي.





جاءَتْ جَدَّتي إلى الغُرْفَةِ عِنْدَما سَمِعَتِ الضَّوْضاء.

ساعَدَتْني في النُّهوض.

رَتَّبْنا الكُتُبَ قَبْلَ أنْ تَعْرِفَ أُمّي ما حَدَث.

أخْبَرْتُ جَدَّتي بِما حَصَل.

فَضَحِكَت، وقالَت: «يا عَزيزَتي، عَلَيْكِ أنْ تَحْتَرِمي الكُتُبَ وإلّا سَتَنْتَقِمُ مِنْكِ».

هَلْ جَدَّتي فَيْلَسوفَةٌ أمْ ماذا؟



أُحْجِياتٌ، كَلِماتٌ مُتَقاطِعَةٌ وأُمورٌ أُخْرى



«فاطِمَة» هِيَ زَميلَتي في الصَّفّ. هِيَ تُحِبُّ حَلَّ الكَلِماتِ المُتَقاطِعَةِ مِثْلي تَمامًا. في مُعْظَمِ العُطَلِ تَأْتي إلى مَنْزِلي أَوْ أَذْهَبُ إلى مَنْزِلِها. نَضَعُ الشَّبَكاتِ أَمامَنا ونَبْدَأُ المُنافَسَة.

تُحاوِلُ كُلُّ واحِدَةٍ مِنّا حَلَّ الشَّبَكَةِ نَفْسِها لِمَعْرِفَةِ الَّتي سَتُنهيها أَوَّلًا. نَكونُ شَديدَتَيِّ الحَماسَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّ أَنْفاسَنا تَكادُ تَنْقَطِع.

تُحاوِلُ جَدَّتي تَحْذيرَنا: «تَمَهَّلا، وخُذا نَفَسًا عَميقًا».

ثُمَّ تَقول: «العِنَبُ يَنْضُجُ مِنْ خِلالِ مُشاهَدَةِ باقي عَناقيدِ العِنَبِ الأُخْرى».

أُحِبُّ هَذا التَّعْبير. يَجْعَلُني أُفَكِّرُ بِعُنْقودٍ مِنَ العِنَبِ يُراقِبُ عُنْقودًا آخَرَ ويَقول: «لَقَدْ نَضُج؛ أُريدُ أَنْ أَكونَ مِثْلَهُ تَمامًا». ثُمَّ يُفَكِّرُ عُنْقودٌ آخَرُ في الأَمْرِ نَفْسِه، وفي النِّهايَةِ تَنْضُجُ كُلُّها. ولَكِنَّها تَنْسى أَمْرًا واحِدًا؛ ماذا سَيَحْدُثُ عِنْدَما تَنْضُجُ كُلُّها؟

طَبْعًا لَمْ تَكُنْ عَناقيدُ العِنَبِ تُفَكِّرُ في العَواقِب.





ثُمَّ يَأْتي يَوْمٌ يَحْضُرُ فيهِ صاحِبُ الكَرْم،
ويَكونُ سَعيدًا جِدًّا لِرُؤْيَةِ العِنَبِ النّاضِج: «حَسَنًا، تَبْدينَ جَميلَةً بِما فيهِ الكِفايَةِ كَيْ آخُذَكِ إلى السّوق».

ماذا كانَتْ تُحاوِلُ جَدّتي أنْ تُخْبِرَنا بِهِ؟

كانَتْ جَدَّتي تُحاوِلُ أنْ تَقول: «لا تَجْعَلوا الأحاجي مِحْوَرَ حَياتِكُم. إذا أمْضَيْتُمُ الكَثيرَ مِنْ وَقْتِكُم في عَمَلِ شَيْءٍ واحِدٍ سَتَفْقِدونَ التَّوازُن.

أيُّ عَمَلٍ تَقومونَ بِهِ بِشَكْلٍ زائِدٍ عَنْ حَدِّهِ سَيَكونُ لَهُ تَأْثيرٌ عَلى كُلِّ شَيْءٍ في حَياتِكُم».

جَدَّتي عَلى حَقٍّ. لِذَلِكَ أرى شَبَكاتِ الكَلِماتِ المُتَقاطِعَةِ عَلى الأرْصِفَةِ المَرْصوفَةِ بِالحَصى.

أحْيانًا، أتَأَخَّرُ عَلى المَدْرَسَةِ لِأَنَّني لا أسْتَطيعُ حَلَّ الأُحْجِيَة. هَذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّني أسْألُ مُعَلِّمَتي ما إذا كانَ يَنْبَغي أنْ أُجيبَ عَنْ أسْئِلَةِ الامْتِحانِ مِنْ أعْلى إلى أسْفَل، أوْ مِنَ اليَمينِ إلى اليَسار؟

بَيْنَما كُنْتُ أُفَكِّرُ في هَذا كُلِّه، أنْهَتْ «فاطِمَة» حَلَّ الكَلِماتِ المُتَقاطِعَةِ وصاحَتْ بِحَماسَةٍ.

كانَ هَذا الفَوْزُ الأوَّلُ لَها وخَسارَتي الأولى.

كُنْتُ عَلى ما يُرامُ في ما يَخْتَصُّ بِهَذا الشَّأْن.

هَنَّأْتُ «فاطِمَة»، وقُلْتُ:

«هَيّا، تَعالي نَشْرَبُ بَعْضَ الحَليب».

فَذَهَبْنا إلى المَطْبَخ.

المَتْجَرُ الأَفْضَلُ في العالَم



تَبْدو أنيقَةً جِدًّا. تَبْدو رائِعَةً في أَلْوانِها. الجَميعُ يَقولونَ إنَّها مُريحَةٌ جِدًّا. كَيْفَ يُمْكِنُني امْتِلاكُ زَوْجٍ مِنْها؟

ذَهَبْتُ إلى أُمّي. «لا، أنْتِ لَسْتِ في حاجَةٍ إلَيْها»، كانَ هَذا رَدُّها. رَأَيْتُ جَدَّتي وأبي يَجْلِسانِ مَعًا، فَهَمَسْتُ في أُذُنَيْهِما، ولَكِنَّ الحَظَّ لَمْ يُحالِفْني مَعَهُما أيْضًا.

كانا المَلاذَ الأخيرَ لي.

قالَ جَدّي: «رُبَّما يَمْلِكُ الجَميعُ زَوْجًا مِنْ هَذِهِ الأحْذِيَة، ولَكِنْ فكِّري في الأمْر. هَلْ أنْتِ حَقًّا في حاجَةٍ إلَيْها؟».

كُلَّ صَباحٍ، عِنْدَما أخْرُج، أرى تِسْعَ أقْدامٍ مِنْ أصْلِ عَشْرٍ تَنْتَعِلُ الجَزْماتِ هَذِه. لِماذا إذًا لا يُمْكِنُني، أنا أيْضًا، الحُصولُ عَلى زَوْجٍ مِنْها؟ لَقَدْ شَعَرْتُ بِجُرْحٍ وإساءَةٍ.

عِنْدَما جَلَسْنا إلى مائِدَةِ الفَطور، لَمْ أتَمَكَّنْ مِنَ السُّؤالِ مَرَّةً أُخْرى، لِأنَّني ما زِلْتُ لا أتَحَدَّثُ إلى أيٍّ مِنْهُم.

اسْتَدارَتْ أُمّي نَحْوي، «زَهْرَة، مِنْ فَضْلِكِ، أُنْظُري داخِلَ خِزانَةِ مَلابِسِكِ وأَخْرِجي مِنْها المَلابِسَ الَّتي لا تَحْتاجينَها».

رَفَضوا طَلَبي شِراءَ حِذاءٍ، وفَوْقَ ذَلِكَ يُريدونَ أخْذَ



ما هُوَ لي. تَضاعَفَ حُزْني. جَمَعْتُ حاجِيّاتي كُلَّها وأحْضَرْتُها إلى غُرْفَةِ الجُلوس.
لَمْ أُعِرْ ما كانوا يَفْعَلونَهُ أيَّ انْتِباهٍ.
تَذَرَّعْتُ بِحُجَّةِ أنَّ لَدَيَّ واجِباتٍ مَنْزِلِيَّةً،
وذَهَبْتُ إلى غُرْفَتي.

بَعْدَما أنْهوا شُرْبَ القَهْوَةِ سَألوني عَمّا إذا كُنْتُ أوَدُّ الذَّهابَ مَعَهُم. كانَ هُناكَ أمْرٌ مُضْحِكٌ يَحْدُثُ هُنا. لَقَدْ تَمَّ تَنْظيفُ المَنْزِل. بِوِساطَةِ مَن؟ عائِلَتي. عائِلَتي الَّتي لَنْ تَشْتَرِيَ الحِذاءَ الَّذي أرَدْتُه. طَبْعًا كُنْتُ ذاهِبَةً مَعَهُم. كُنْتُ أرْغَبُ في مَعْرِفَةِ إلى أيْنَ يَأْخُذونَ حاجِيّاتِنا.

غادَرْنا المَنْزِلَ وأنا ما زِلْتُ حَزينَةً. وبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ، تَحَوَّلَ حُزْني إلى سَعادَةٍ وفُضولي إلى دَهْشَةٍ.
اجْتَمَعَتْ مَجْموعَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ النّاسِ ومَلَأوا المَكان.
كانوا قَدْ جَلَبوا حاجِيّاتٍ مِنْ مَنازِلِهِم لِلنّاسِ المُحْتاجين.





كانَ عَلَيْكُم أنْ تروا ذَلِك. أطْباقٌ، قُمْصانٌ وجَوارِب، أحْذِيَةٌ وحَقائِب. حَتّى أصْغَرُ الأشْياءِ الَّتي لَمْ نَعُدْ في حاجَةٍ إلَيْها جُمِعَتْ هُناك. كانَتْ مَهَمَّتي تَنْظيفَ الأحْذِيَةِ وتَرْتيبَ الجَزْمات. فَنَسيتُ أمْرَ تِلْكَ الجَزْمَةِ الَّتي أرَدْتُها بِشِدَّةٍ.

كُنْتُ فَقَطْ شاكِرَةً لِأنَّني لَمْ أكُنْ حافِيَةَ القَدَمَيْن.

كانَ هَذا أفْضَلُ مَتْجَرٍ عَلى الإطْلاق. هَلْ تَعْرِفونَ لِماذا؟ لِأنَّ النّاسَ يَأْتونَ إلَيْهِ فَقَطْ مِنْ أجْلِ الحُصولِ عَلى الأشْياءِ الَّتي يَحْتاجونَها حَقًّا.





أنا أقْتَدي بِجَدَّتي

أنا مَريضَةٌ مُجَدَّدًا. تَقولُ عائِلَتي إِنَّني افْتَتَحْتُ مَوْسِمَ الزُّكام.

جَدَّتي العَزيزَةُ جاءَتْ لِنَجْدَتي. «هَلْ تَعْلَمين يا زَهْرَة، أَنَّني عِنْدَما كُنْتُ في عُمْرِكِ، اعْتَدْتُ أنْ أمْرَضَ كَثيرًا، مِثْلَكِ تَمامًا؟».

ـ ياه! إذًا، إنَّ الإِصابَةَ بِالزُّكامِ في جيناتِنا.

لَكِنَّهُم يَقولونَ إنَّ هَذا لَيْسَ في جيناتي: عَدَمُ ارْتِداءِ المَلابِسِ بِحَسْبِ الطَّقْس، الإِصْرارُ عَلى أنَّ الرّيحَ لَنْ تَجْعَلَني أشْعُرُ بِالبَرْد، المَشْيُ تَحْتَ المَطَرِ وأنا أَنْتَعِلُ حِذاءً صَيْفِيًّا، عَدَمُ تَناوُلِ الأَطْعِمَةِ الصِّحِّيَّة، تَناوُلُ الوَجَباتِ السَّريعَةِ وعَدَمُ النَّوْمِ في الوَقْتِ المُحَدَّد... هَذِهِ هِيَ بَعْضُ الأُمورِ الَّتي حَذَّروني مِنَ الاسْتِمْرارِ بِالقِيامِ بِها. أنا لا أُوافِقُهُمْ في الرَّأْي. إنَّها جيناتي.

تابَعَتْ جَدَّتي: «هَلْ تُريدينَ التَّخَلُّصَ مِنَ العاداتِ السَّيِّئَةِ الَّتي لا تُعْجِبُكِ؟».

أجْبَرَتْني نَبْرَةُ صَوْتِها عَلى قَوْل: «نَعَم جَدَّتي».



هَمَسَتْ جَدَّتي في أُذُني أنَّها سَتُعْطيني وَصْفَةً لِلنَّجاحِ في ذَلِك. أحْضَرَتْ قِطْعَةً مِنَ الوَرَقِ وقَلَمًا ومِقَصًّا. قَطَّعَتِ الوَرَقَةَ إلى مُرَبَّعاتٍ صَغيرَةٍ وأعْطَتْني إيّاها.

«والآن، أُكْتُبي عاداتِكِ السَّيِّئَةَ كُلَّها عَلى هَذِهِ الأوْراق».

فَعَلْتُ ما طَلَبَتْهُ جَدَّتي إلَيّ. هُناكَ عاداتٌ كَثيرَةٌ تَجْعَلُ حَياتي صَعْبَةً؛ مَنْ يَتْرُكُ فُروضِهِ المَنْزِلِيَّةَ حَتّى اللَّحْظَةِ الأخيرَةِ وبَعْدَ ذَلِكَ يَشْعُرُ بِالذُّعْر؟ أنا. مَنْ يَنْزَعِجُ مِنَ الأُمورِ السَّخيفَةِ ويَفْقِدُ الكَثيرَ مِنَ المَرَح؟ أنا. مَنْ يُنْهي مَصْروفَهُ الأُسْبوعِيَّ في يَوْم؟ أنا. مَنْ يَجْلِسُ أمامَ الحاسوبِ لِساعاتٍ ويَشْعُرُ بِالذَّنْب؟ أنا. مَنْ يَنْتَقِدُ أصْدِقاءَه؟ لَيْسَ دائِمًا، ولَكِنْ أحْيانًا... أنا.

صارَ حِضْني مَليئًا بِهَذِهِ الأوْراقِ الصَّغيرَة. والآن،

ماذا أفْعَل؟

لَمّا يَنْتَهِ عَمَلُنا، ولَكِنَّني بَدَأْتُ أشْعُرُ أنَّني في حالٍ أفْضَل.



وَضَعَتْ جَدَّتي الأوْراقَ في كيسٍ مِنَ الوَرَق، خَرَجْنا إلى الحَديقَة، وطَلَبَتْ إلَيَّ أنْ أخْتارَ المَكانَ الَّذي يُعْجِبُني أكْثَر.

اخْتَرْتُ أجْمَلَ بُقْعَةٍ في الحَديقَة، حَيْثُ اعْتَدْتُ أنْ أتَأرْجَحَ عِنْدَما كُنْتُ صَغيرَةً. ابتَسَمَتْ وأعْطَتْني مِجْرَفَةً. حَفَرْتُ حُفْرَةً صَغيرَةً، ولَكِنَّها تَتَّسِعُ بِما يَكْفي لِزَرْعِ زَهْرَةٍ.

لَمْ تُخْبِرْني جَدَّتي ما عَلَيَّ فِعْلُهُ بَعْدَ ذَلِك. وَضَعْتُ كيسَ الوَرَقِ الَّذي كانَ مَليئًا بِالأوْراقِ في الحُفْرَة، وغَطَّيْتُهُ جَيِّدًا. حَتّى إنَّني قَفَزْتُ فَوْقَه.

بَيْنما كُنّا عائِدَتَيْنِ إلى الدّاخِلِ، هَمَسَتْ جَدَّتي بِسِرٍّ آخَر. هَذا هُوَ سَبَبُ ابْتِسامَتِها عِنْدَما كُنّا في الحَديقَة. عَلى ما يَبْدو، لَقَدِ اخْتَرْنا المَكانَ نَفْسَهُ كَيْ نَدْفُنَ أوْراقَنا... «لا بُدَّ أنَّ هَذا في جيناتِنا»، قالَتْ جَدَّتي. فَضَحِكْنا.





بَيْنَما كُنْتُ أشْرَبُ الشايَ بِالزَّيْزَفونِ الَّذي أحْضَرَتْهُ جَدَّتي إلى سَريري، سَأَلْتُها: «جَدَّتي، هَلْ تَخَلَّصْتِ حَقًّا مِنْ عاداتِكِ السَّيِّئَة؟». أجابَتْني: «حَسَنًا، أنا أُحاوِل. الأمْرُ يَعودُ إلَيْكِ. يا زَهْرَة، إذا حاوَلْتِ وطَلَبْتِ المُساعَدَةَ عِنْدَما تَحْتاجينَ إلَيْها، سَتَنْجَحين!».